مفهوم الأمن في الإسلام
وسبل تحقيقه في مكة المكرمة
في ضوء القرآن والسنة

إعداد

د. عبد الله بن عبدالرحمن الخطيب

أستاذ مشارك في علوم القرآن وتفسيره

جامعة الشارقة - الإمارات العربية المتحدة

بحث مقدم إلى ندوة

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

ملخص البحث

يتناول هذا البحث الكلام عن مفهوم الأمن في الإسلام وسبل تحقيقه في مكة المكرمة في ضوء القرآن والسنة، ولهذا فهو ينقسم إلى قسمين رئيسين: القسم الأول : يتناول مفهوم الأمن في الإسلام وسبل تحقيقه من خلال دعوة الإسلام لتحقيق الأمن والسلام العالمي، وفيه عدة مطالب. والقسم الثاني: سبل تحقيق الأمن في مكة المكرمة في ضوء القرآن والسنة وفيه مطلبان رئيسان: المطلب الأول: تأسيس أمن مكة في القرآن والسنة. والمطلب الثاني: سبل تحقيق الأمن الاجتماعي والفردي في مكة المكرمة من خلال:

أولا : تحقيق الأمن الاجتماعي:

١- تحريم القتال فيها بالحفاظ على النفس الإنسانية

٢- الحث على عمل الخيرات فيها بمضاعفة الأجر والتحذير من عمل السيئات فيها بمضاعفة الإثم.

٣- منع دخول المشركين في الحرم.

٤- الحج وبعض أحكامه التي لها أثر في تحقيق الأمن :

أ- حرمة الصيد ،

ب- حرمة شجرها ولقطتها ،

ج- حفظها من الطاعون والدجال والجبابرة.

ثانيا : تحقيق الأمن الفردي على الصعيد النفسي والروحي.

ثم تأتي الخاتمة والتوصيات.

المقدمة:

الحمد لله الذي اختار الإسلام دينا للعالمين وارتضاه لعباده منذ بدء الخليقة، وبعث الله تعالى به جميع الأنبياء عليهم السلام، إذ إنه دين الفطرة فكيف لا يكون بعد ذلك دين الإسلام هو دين السلام والأمن والطمأنينة للإنسانية جمعاء؟، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله تعالى رحمة وهداية للعالمين. وبعد

فإن الإسلام هو دين الأمن والسلام ولكننا للأسف نرى اليوم ظلما وإجحافا يرتكبان بحق هذا الدين الحنيف وفي وسائل الإعلام الغربية خصوصا، حيث إن بعضها تصور هذا الدين وتنعته بالتخلف والوحشية، وتصف أتباعه بالإرهابيين الذين لا يطمئن لهم بال إلا بالقتل والإفساد في الأرض، مع العلم بأن الإسلام حرم كل أنواع الفساد في الأرض. ومما زاد في الطين بلة أنه ظهر في الغرب مفكرون يريدون أن يضعوا الإسلام العدو اللدود للغرب في مكان الشيوعية التي سقطت، وكذلك يدعون بأن الصراع في هذا القرن هو صراع حضارات وثقافات وقد حمل لواء هذه الدعوى صموئيل هنتنغتون في كتابه المشهور صراع الحضارات The Clash of Civilisation، وادعى بأن الصراع في القرن الحالي سيكون صراعا بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، ويحتج هؤلاء بحجج واهية منها ما يقوم به بعض المتطرفين أو بعض الإرهابيين الذين ينتسبون إلى الإسلام من تفجير للمعابد والمساجد والكنائس، ومن قتل للأبرياء وخطف للطائرات،

مع أن الإسلام بريء من هؤلاء الناس وأعمالهم.

وقد أدت الأعمال التي يقوم بها هؤلاء المتطرفون في شتى أنحاء العالم إلى أن يستغلها الذين يكرهون الإسلام والمسلمين، فراحوا يشوهون صورة الإسلام والمسلمين في أذهان الغربيين لينفروهم من حقيقته الناصعة التي هي السلام والأمان والرحمة لكل إنسان.

وإن الله عز وجل قد أقام لهذا الدين أسسا تمنح معتنقيه الأمن والطمأنينة، واختص أماكن في الكرة الأرضية منحها الأمن والطمأنينة منذ أن خلق الله السموات والأرض ألا وهي مكة المكرمة البلد الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا يأمنون فيه من الظلم والبغي بكل ألوانه، ويعبدون فيه الله تعالى ويوحدونه أسوة بأبيهم إبراهيم عليه السلام قال الله تعالى: (وإذ بوأنا لإبراهيم البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) الحج: ٢٦، هذا البيت الحرام الذي يؤمه ملايين المسلمين كل عام، وهو قبلة لمليار مسلم ونصف في كل يوم، وقد جعل الله تعالى مكة المكرمة بلدة محرمة فأمن فيها الإنسان والحيوان والطير والنبات وكل ذي حياة. ولا يوجد بلدة في الدنيا لها من الحرمة ما لمكة المكرمة والتي تستحق فعلا أن تعلن عاصمة للثقافة الإسلامية ليس لعام ١٤٢٦ هـ بل لكل الأعوام إذ منها انطلق الوحي والإسلام الذي هو أساس الأمن والطمأنينة على وجه هذه الأرض.

ولا يوجد على وجه الأرض مدينة تحقق لها من المكانة والقداسة والأمن على مر الزمان ما تحقق لمكة المكرمة حرسها الله

تعالى حتى قيام الساعة، ومن مكة كانت بداية الهداية الربانية للعالمين ليخرجوا من الظلمات إلى النور، وهناك وضعت البركة أول ما وضعت على الأرض قال الله تعالى: (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين. فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا...) آل عمران: ٩٦- ٩٧، وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال المسجد الحرام، قال: ثم أي قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصله فإن الفضل فيه.[1]

ولا يوجد في الدنيا مدينة تحقق لها من التشريعات الربانية ما يضمن لها الأمن والقداسة والاحترام ما تحقق لمكة المكرمة حتى صارت مضرب الأمثال في الأمن فقالوا: آمن من حمام مكة. ونحن إذ نعيش في زمان عصيب صار فيه تحقيق الأمن للمدن الكبيرة والمكتظة بالسكان في العالم الهاجس الرئيس للسلطات في شتى دول العالم، ونحن إذ نعيش في هذا العالم إذا بمكة المكرمة أم القرى تقف نموذجا حيا يحتذى به لأنها اليوم فعلا آمن بقعة على وجه الأرض، بالرغم من أنه يقصدها ملايين من الناس كل عام، ولا نسمع

---

[1] أخرج هذا الحديث من سبعة عشر طريقا فقد رواه البخاري ومسلم وابن ماجة والإمام أحمد وابن حبان وابن خزيمة والبيهقي وأبو يعلى وأبو داود الطيالسي والحميدي وعبد بن حميد. فانظر الحميدي في مسنده ج ١/ص: ٧٤، و مسلم في صحيحه ج١/ص٣٧٠/ح٥٢٠، و البخاري في صحيحه ج٣/ص١٢٣٢/ح٣١٨٦، ج٣/ص١٢٦٠/ح٣٢٤٣، و النسائي في سننه ج٢/ص٣٣/ح٦٩٠.

أنه يحدث فيها قلاقل أو حوادث شغب والحمد لله رب العالمين.

ومما يدل على مكانتها كثرة أسمائها ودلالات هذه المسميات: فهي مكة لأنها تمك الجبارين، وتذهب نخوتهم، وتجذب الناس إليها، ولأنها وسط الأرض كما قال الخليل بن أحمد الفراهيدي، [١] وهي بكة لازدحام الناس بها، ولأنها تبك أعناق الجبابرة أي تدقها، ولأنها تضع من نخوة المتكبرين. وهي أم القرى لأنها قبلة يؤمها جميع الأمة، وهي أعظم القرى شأنا إذ فيها بيت الله تعالى، ولما كانت العادة بأن بلد الملك وبيته مقدمان على جميع الأماكن سمي أمّا لأن الأم متقدمة، [٢] وهي البلد الأمين من سطوة الأعداء ومن دخلها أمن على نفسه وعرضه وماله، وهي المسجد الحرام، ومعاد، والحرم، والمقدسة، ولها أسماء أخر عديدة جميلة تدل كلها على عظمها ومكانتها عند الله تعالى، وهي من أعظم شعائر الله تعالى التي جعل الله تعالى تعظيمها علامة على تقوى القلوب (ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) الحج: ٣٢، وقد كانت هذه البلدة أحب البلاد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله،

---

[١] الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد خليل عيتاني، (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٨/١٩٩٨)، ط١، ص:٤٧٣- ٤٧٤.

[٢] قارن بمحمد بن إسحاق الفاكهي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، (مكة المكرمة: مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٤١٤هـ/١٩٩٨)، ط١، ج: ٢، ص: ٢٨٠- ٢٨٢، ومحمد بن عبد الله الغبان، فضائل مكة الواردة في السنة جمعا ودراسة، (الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢١/٢٠٠٠)، ط١، ج: ١، ص: ٢٣- ٢٨.

ولولا أني أخرجت منك ما خرجت).[١]

وتنقسم هذه الورقة البحثية إلى قسمين رئيسين هما: القسم الأول ويتناول مفهوم الأمن في الإسلام وسبل تحقيقه من خلال دعوة الإسلام لتحقيق الأمن والسلام العالمي، وفيه عدة مطالب. والقسم الثاني: سبل تحقيق الأمن في مكة المكرمة في ضوء القرآن والسنة، وفيه مطلبان رئيسان: المطلب الأول: تأسيس أمن مكة في القرآن والسنة. والمطلب الثاني: سبل تحقيق الأمن الاجتماعي والفردي في مكة المكرمة من خلال:

أولا: تحقيق الأمن الاجتماعي:

١- تحريم القتال فيها بالحفاظ على النفس الإنسانية

٢- الحث على عمل الخيرات فيها بمضاعفة الأجر والتحذير من عمل السيئات فيها بمضاعفة الإثم.

٣- منع دخول المشركين في الحرم. ٤

- الحج وبعض أحكامه التي لها أثر في تحقيق الأمن :

أ- حرمة الصيد،

ب- حرمة شجرها ولقطتها،

---

[١] أخرجه الحاكم في مستدركه ج ٣/ص ٤٨٩/ح ٥٨٢٧، والبخاري في صحيحه ج٢/ص٦١٩/ح١٦٥١. وابن ماجه في سننه ج٢/ص١٠٣٨/ح٣١٠٨. و ابن حنبل في مسنده ج٤/ص٣٠٥/ح١٨٧٣٨. وانظر الغبان، فضائل مكة، ج: ١، ص: ٢٣٠.

ج- حفظها من الطاعون والدجال والجبابرة.

ثانيا: تحقيق الأمن الفردي على الصعيد النفسي والروحي.
الخاتمة والتوصيات.

وإنني أتوجه بالشكر الجزيل لمنظمي هذه الندوة الكبرى في جامعة أم القرى حفظها الله تعالى متمنيا لهم التوفيق والسداد وتحقيق النجاح في الدنيا والآخرة وتندرج هذه الورقة في المحور السادس: الأمن في مكة ، القسم الأول منه: مفهوم الأمن ومدى تطبيقه وتحققه في مكة ، والله من وراء القصد.

***

القسم الأول

مفهوم الأمن في الإسلام وسبل تحقيقه

من خلال دعوة الإسلام لتحقيق الأمن والسلام العالمي

المطلب الأول : مفهوم الأمن في القرآن الكريم

ذكرت مشتقات الأمن في القرآن الكريم بالمعنى اللغوي والاصطلاحي ما يقرب من ٩٦٠ مرة، وسنذكر بعض الأمثلة عن هذه المعاني، وذلك لكثرتها، وذلك حسب التالي:

أولا: معنى الأمن لغة:

الأمن لغة: كما قال الراغب الأصفهاني: " أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر ..."، [1] ويقول ابن فارس:" الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق، والمعنيان كما قلنا متدانيان"، [2] ويقول ابن سيده: " الأمن نقيض الخوف (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا) البقرة:١٢٥، ويمكن جمع المعنيين اللذين ذكرهما ابن فارس في معنى واحد كما فعل محمد نور الدين المنجد فقال في بحثه عن دلالة الجذر (أ م ن) في

---

[1] الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحق محمد خليل عيتاني، (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٨/١٩٩٨)، ص: ٣٥ .

[2] أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج:١، ص: ١٣٣ .

القرآن : "وخلاصة الأمر أن المفردات المشتقة من الجذر (أ م ن) كالأمن والأمنة والأمانة والإيمان وما يتفرع عن هذه المفردات من صيغ مختلفة يمكن ردها جميعا بشيء من التأني والتأمل إلى أصل لغوي واحد وهو: الطمأنينة وسكون القلب... وقد نقل عن الخليل ما يدعم هذا التوفيق بين الأصلين بل ينص على الطمأنينة صراحة، قال النضر: وقالوا للخليل: ما الإيمان؟ قال الطمأنينة".[1]

ومن أمثلة استخدام القرآن الكريم للأمن بمعنى الطمأنينة التي هي ضد الخوف قوله تعالى: (فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون. الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم اؤلئك لهم الأمن وهم مهتدون) الأنعام: ٨١- ٨٢، فقد جعل الله تعالى الأمن ثوابا للمخلصين في إيمانهم للدلالة على مكانة الأمن والطمأنينة في حياة الناس، وقد ذكر الأمن في الآية معرفا، "وفي التعريف من الدلالة على الكمال ما ليس في التنكير... وكذلك الأمن في الآية يستغرق كل أنواعه وفروعه من دون تخصيص بصفة أو تحديد بنوع فهو الأمن الكامل على كل شيء من كل شيء، وذلك أقصى ما يسعى إليه المرء، وقد جعله الله تعالى ثوابا له في الآخرة، ودخل تحت الأمن جميع المحبوبات، وذلك أنه نفى به أن يخافوا شيئا من الفقر والموت وزوال النعمة وغير ذلك من أصناف المكاره".[2]

---

[1] محمد نور الدين المنجد، دلالة الجذر (أ م ن) في القرآن الكريم، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد الثالث والثلاثون، السنة التاسعة، المحرم ١٤٢٢/ نيسان ٢٠٠١، ص: ١٢ – ١٤

[2] محمد نور الدين المنجد، دلالة الجذر (أ م ن) في القرآن الكريم، ص: ٨.

ثانيا: أ- معنى الأمن اصطلاحا:

عرف الأمن اصطلاحا بتعاريف عديدة منها: أنه الحالة التي تتوافر حين لا يقع في البلاد إخلال بالقانون، سواء كان هذا الإخلال جريمة يعاقب عليها، أو نشاطا خطيرا يدعو إلى اتخاذ تدابير الوقاية والأمن لمنع النشاط من أن يتحول إلى جريمة.[1]

ب- تعريف الإيمان اصطلاحا:

يأتي الإيمان اصطلاحا بمعنيين:" أ- يستعمل تارة اسما للشريعة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ذلك (الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين) البقرة:٦٢.

ب- وتارة يستعمل على سبيل المدح ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان ، وعمل بحسب ذلك بالجوارح، ومن ذلك قوله: (والذين آمنوا بالله ورسله اؤلئك هم الصديقون) الحديد:١٩، ويقال لكل واحد من الاعتقاد والقول الصدق، والعمل الصالح إيمان، ...وجعل الحياء وإماطة الأذى من الإيمان قال تعالى: (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) يوسف:١٧، قيل معناه: بمصدق لنا، إلا أن الإيمان هو التصديق الذي معه أمن".[2] والإيمان إذا ورد مع الإسلام في جملة واحدة يراد به الإذعان والتصديق الباطني كما في قوله تعالى: (قالت الأعراب

---

[1] محمد الزحيلي، الإيمان أساس الأمن، ص: ٣٣.

[2] الراغب الأصفهاني، المفردات، ص: ٣٦ .

آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) الحجرات: ١٤.

***

المطلب الثاني : كيف دعا الإسلام لتحقيق الأمن والسلام العالمي؟

تصلح جميع تعاليم الإسلام نموذجا للتأكيد بأنه دين عالمي يدعو لتحقيق الأمن والسلام والطمأنينة بين الناس أجمعين، ويصلح معظم التاريخ الإسلامي لتأكيد هذه القضية، فالإسلام هو دين السلام والأمن والطمأنينة حتى في تعاليم الحرب وأحكامه، وهو دين السلام في تعامله مع الفرد والمجتمع والأمم.

والإسلام هو مصدر الحضارة الحقيقية، وهو سيد العلوم ورئيسها، وذلك لأنه دين كامل اصطفاه الله تعالى لعباده فقال تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: (يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) البقرة:١٣٢، والإسلام الحقيقي هو الواسطة الوحيدة لتحقيق السعادة والأمن في الدنيا والآخرة، وهو الوسيلة الوحيدة الناجعة لتحقيق السلام العالمي ومقاومة الإرهاب المحلي والدولي، وهو السد المنيع أمام اللادينية التي سببت للناس الفوضى والهلاك والذعر، والأخلاق الإسلامية هي الكفيلة بنشر الفضيلة واقتلاع الرذيلة من المجتمعات الإنسانية.

وقد حقق الإسلام الدعوة للأمن والسلام والطمأنينة عبر الأمور التالية:

أولا: دعوة المسلم إلى الحركة الإيجابية والتخلق بأخلاق الإسلام:

الإسلام دين إيجابي يعلم أتباعه على الإيجابية في أعمالهم وتصرفاتهم، فعن أبي هريرة أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم)،[١] و(المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه التقوى ههنا وأشار النبي صلى اللّه عليه وسلم إلى القلب بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم)،[٢] والمسلم يحب الخير للآخرين فعن قتادة عن أنس قال: قال النبي صلى اللّه عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)،[٣] والمسلم يحب الخير لجيرانه ومجتمعه ولا

---

[١] أخرجه البخاري في الأدب المفرد ج١/ص٣٩١/ح١١٤٤، و مسلم في صحيحه ج١/ص٦٦/ح٤١، ج١/ص٦٦/ح٤٢، و البخاري في صحيحه ج١/ص١٣/ح١٠، ج١/ص١٣/ح١١، ج٥/ص٢٣٧٩/ح٦١١٩، وقد اتفقا على إخراج طرف حديث: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ولم يخرجا هذه الزيادة وهي صحيحة على شرط مسلم وفي هذا الحديث زيادة أخرى على شرطه مما لم يخرجاها، انظر الحاكم في مستدركه ج ١/ص ٥٤/ح ٢٢، و النسائي في سننه ج٨/ص١٠٥/ح٤٩٩٥، ج٨/ص١٠٥/ح٤٩٩٦، ج٨/ص١٠٧/ح٤٩٩٩، و ابن حبان في صحيحه ج١/ص٤٠٧/ح١٨٠، ج١/ص٤٦٧/ح٢٣٠، ج٢/ص١٢٥/ح٣٩٩، ج١١/ص٢٠٥/ح٤٨٦٢، و الترمذي في سننه ج٥/ص١٧/ح٢٦٢٧، و ابن حنبل في مسنده ج٢/ص١٦٣/ح٦٥١٥، ج٢/ص١٨٧/ح٦٧٥٣.

[٢] من كتاب كنز العمال، رقم الحديث: ٧٤٧ .

[٣] أخرجه الدارمي في سننه ج ٢/ص ٣٩٧/ح ٢٧٤٠، وأخرجه مسلم في صحيحه ج١/ص٦٨/ح٤٥، و البخاري في صحيحه ج١/ص١٤/ح١٣، و النسائي في سننه ج٨/ص١١٥/ح٥٠١٦،

=

يفسد في الأرض ولا يؤذي أحدا حتى النملة، ولهذا ورد في الحديث الشريف أن رجلا دخل الجنة في كلب سقاه، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض)،[١] فما أعظم تعاليم هذا الدين الذي يزرع في نفوس أتباعه حب الحيوان والإحسان إليه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تنزع الرحمة إلا من شقي)،[٢] فما أبعد تعاليم الإسلام عن الغلظة وإذاية الناس والإفساد في الأرض إذن؟ وقد نفى النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان عمن لا أمانة له فقال: (لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له)، ونفى النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام عمن يحمل السلاح على أخيه المسلم فليس منا من حمل علينا السلاح،[٣] وحث الإسلام المسلم على محاسبة النفس وتربيتها فقال تعالى: (قد أفلح من تزكى) الأعلى: ١٤، فهدف المسلم الأسمى هو التخلق بأخلاق الإسلام وآدابه، فكيف بالله عليكم يوصف بعد ذلك من تحلى بهذه الأخلاق العالية بأنه إرهابي؟

=

ج٨/ص١١٥/ح٥٠١٧، ج٨/ص١٢٦/ح٥٠٣٩، و ابن حبان في صحيحه ج١/ص٤٧١/ح٢٣٤، ج١/ص٤٧١/ح٢٣٥، و الترمذي في سننه ج٤/ص٦٦٧/ح٢٥١٥.
و ابن ماجه في سننه ج١/ص٢٦/ح٦٦.

[١] أخرجه أبي يعلى في مسنده ج ١٠/ص ٣٤١/ح ٥٩٣٥، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد ج١/ص١٣٨/ح٣٧٩، و مسلم في صحيحه ج٢/ص٦٢٤/ح٩٠٤، ج٤/ص١٧٦٠/ح٢٢٤٢، ج٤/ص٢٠٢٣/ح٢٦١٩، ج٤/ص٢١١٠/ح٢٦١٩، و البخاري في صحيحه ج٢/ص٨٣٤/ح٢٢٣٥، ج٢/ص٨٣٤/ح٢٢٣٦، ج٣/ص١٢٠٦/ح٣١٤٠، ج٣/ص١٢٨٤/ح٣٢٩٥.

[٢] أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، ج:٣، ص: ٤٥، وأحمد في مسنده، ج:٢، ص: ٢٤٢.

[٣] أخرجه أبو يعلى في مسنده، ج: ١٣، ص: ٢٤٤.

ويعتبر الإسلام أعلى أنواع الجهاد الحقيقي اليوم الجهاد ضد حظوظ النفس الإنسانية الجامحة، وضد الجهل المستشري بين أفراد الأمة الإسلامية، ولن يتحقق هذا الجهاد المعنوي إلا بطريقين أساسيين:

١- **الترقي المادي والتكنولوجي:**

فالإسلام يوجب على أتباعه طلب العلم وخصوصا منها العلوم المادية كي يساهموا في رقي مجتمعهم ولا يظلوا عالة على الأمم الأخرى في الصناعات الهامة، ولكي يدلوا بدلوهم مع الأمم الأخرى في التقدم الصناعي والتكنولوجي.

٢- **تحقيق وممارسة الأخلاق الإسلامية:**

لن تقوم لهذه الأمة قائمة إلا بممارسة الأخلاق الإسلامية التي حث الإسلام عليها قال صلى الله عليه وسلم : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق،[١] والتربية والأخلاق الإسلامية هي الكفيلة بتحقيق الأمن للفرد والمجتمع وهي التي ستنقذ البشرية من الويلات والمحن والخوف الذي حل بها، وسيتبدل ذلك كله بالحياة الطيبة الآمنة المستقرة،[٢] قال تعالى: (قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى) طه: ١٢٣، فالإسلام هو صمام الأمان لاستقرار العالم قال تعالى: (ولو أن اهل القرى آمنوا

---

[١] أخرجه البيهقي في مسنده، ج:١٠، ص:١٩١، والبحاري في الأدب المفرد، ج:١، ١٠٤.

[٢] عبد الله قادري، أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي، (جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٠٩/١٩٨٨)، ط١، ص: ١٢.

واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) الأعراف:٩٦، فعندما يرتفع الإسلام عن الأرض تقوم الساعة كما ورد في الحديث الشريف. وإن الإسلام سعى بتعاليمه لتحقيق الأخوة الإسلامية وذلك بحثه على المحبة في الله، والتزاور في الله وإجابة دعوة الطعام وإعانة المحتاج، وإفشاء السلام ، وطلاقة الوجه وطيب الكلام، والتواضع والعفو والإيثار ونصرة المظلوم وغيرها من مكارم الأخلاق[١] فالأمن الحق هو في الأخوة الإسلامية والخوف والقلق بفقد تلك الأخوة قال تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) آل عمران:١٠٣، فالأخلاق الإسلامية بمنزلة العروق من الجسد وهي متداخلة في جميع أنظمة الإسلام ولا يتحقق الأمن والطمأنينة إلا بممارسة جميع شعائر الإسلام .

أثر شعائر الإسلام على الأمن والسلام

إن الأمن هو أساس الحياة والحضارة، وهو الوسيلة الأساسية لحفظ الضروريات الخمس في الإسلام، وهي التي تتوقف عليها حياة الناس الدينية والدنيوية، وإذا فقدت اختل نظام الحياة في الدنيا وفات عليهم نعيم الآخرة وهي: حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والنسل والمال، ولا سبيل لحفظها إلا بتوفير الأمن فيأخذ حكمها ويكون واجبا وضروريا لأن الوصول إلى أسمى المقاصد يعتبر أسمى الوسائل،

---

[١] لمزيد من المعلومات انظر عبد الله بن أحمد قادري، أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي، ص: ٢١٢ – ٢٨٥ .

وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.[١] أما أثر شعائر الإسلام على الأمن والسلام فهو يتجلى في الأمور التالية:

١- ارتباط الأمن بالإيمان بالله وملائكته وأثرهما على النفس والمجتمع:

قد مر معنا أن الإيمان هو التصديق الذي معه أمن، كما قال الراغب الأصفهاني، فالإيمان بالله وملائكته يولد عند المؤمن مراقبة ذاتية رادعة لا مثيل لها ، والإيمان يبعث في النفس الطمأنينة والسعادة حتى في أحلك الظروف وأصعبها قال تعالى: (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) البقرة:١٥٦، فالإيمان يحقق للمؤمن الأمن في الدنيا والآخرة قال تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا) النور: ٥٥، وقد أطلق النبي صلى الله عليه وسلم كلمة المؤمن على من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم كما مر سابقا، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم شر الناس من يتقيه الناس مخافة شره. والإيمان يؤثر على أمن المجتمع لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)،[٢] فالمؤمن يحب الخير لمجتمعه، وإن أكبر خير ونعمة على المجتمع الإنساني كما ذكر القرآن هو نعمة الأمن، قال تعالى يمن على قريش

---

[١] محمد الزحيلي، الإيمان أساس الأمن، (دمشق: دار المكتبي ، ١٤١٨ / ١٩٩٨) ، ط١ ، ص: ٤٣ – ٤٤

[٢] أخرجه الدارمي في سننه ج ٢/ص ٣٩٧/ح ٢٧٤٠، وأخرجه مسلم في صحيحه ج١/ص٦٨/ح٤٥، و البخاري في صحيحه ج١/ص١٤/ح١٣، و النسائي في سننه ج٨/ص١١٥/ح٥٠١٦، ج٨/ص١١٥/ح٥٠١٧.

نعمة الأمن : (الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)قريش:٤. وإن المؤمن بالملائكة يستحيي أن يقوم بالمعصية او الإفساد لأنه بمجرد أن يفكر بمباشرة المعصية فإنه يتذكر وجود الملائكة معه فيكون ذلك الإيمان رادعا له.

٢- أثر أركان الإسلام على نشر الأمن:

أ- **الصلاة** : إن أداء الصلاة جماعة تبعث في المجتمع روح الأمن والطمأنينة ونرى ذلك واضحا في صلاة الجماعة والجمعة والتراويح والعيدين، فاجتماع المسلمين على مختلف طبقاتهم في المساجد للصلاة بأمن وسلام يبعث فيهم روح الجماعة وحب الخير للآخرين، وكذلك يبعث فيهم روح التعاون والتحاب . والصلاة تعطي النفس الإنسانية الراحة والطمأنينة والأمن فيخرج المصلون من المسجد متحابين متصافحين. وما أجملها عندما يختم المسلم صلاته بالتحيات لله تعالى والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى كل عباد الله الصالحين. وإن مما يدل على عظمة هذا الدين وجماله ذلك المنظر المهيب في صلاة التراويح في مكة المكرمة في رمضان المبارك، حيث يجتمع أكثر من مليون إنسان في ذلك المكان الطاهر ليعبدوا الله تعالى ويوحدوه متجهين إلى قبلة واحدة ولا تسمع أن شخصا أضر بأخيه لأن الصلاة كلها أمن وطمأنينة وخصوصا في ذلك المكان الطاهر. وقد أثر هذا المنظر المهيب في نفوس كثير ممن لا ينتمون لهذا الدين فأسلموا.

ب- **الصوم**: إنه يهذب النفس الإنسانية ويعطيها الراحة الجسدية والنفسية ، ويساهم في تكافل المجتمع فيشعر الغني بالفقير، ويعيش المسلم في رمضان في أمن مع نفسه ومجتمعه، فمن لم يدع قول الزور والعمل به فلا حاجة لله في أن يدع طعامه وشرابه، والمسلم مأمور في رمضان وقبل رمضان أن يكف عن السباب والشتم، فعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث فإن شاتمه أو سابه وقاتله فليقل إني صائم).[1]

ج- **الزكاة** : إنها تحقق الأمن الاجتماعي في أبهى صوره لأنها تمنع الفقراء من نهب أموال الأغنياء، وذلك لأن الغني عندما يؤدي للفقير حق الله فإن الفقير يصير حارسا لمال الغني لا ناهبا . والزكاة تطهر النفس الإنسانية من الشح الذي يؤدي للفساد والإفساد في الأرض .

د- **الحج** : إنه مؤتمر دولي تتحقق فيه المساواة بين المؤمنين ويؤدي هذه الشعيرة المباركة ملايين من البشر دون الحاجة لشرطة تراقبهم لأنهم أتوا لله ، فمراقبتهم لله تكفيهم، وكذلك يتجلى الأمن في سلوك الحاج لأنه يبتغي مغفرة الله وقبوله، ولن يتحقق له ذلك إلا إذا تصرف بسلام ولم يؤذ أحدا فمن حج فلم يرفث ولم يفسق ولم يجهل رجع كيوم ولدته أمه، وسنتكلم عن هذه الشعيرة بتفصيل لاحقا.

---

[1] أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ج ٣/ص ٢٤٠/ح ١٩٩٣، وأخرجه مسلم في صحيحه ج٢/ص٨٠٦/ح١١٥١، ج٢/ص٨٠٧/ح١١٥١، ج٢/ص٨٠٨/ح١١٥١، و البخاري في صحيحه ج٢/ص٦٧٣/ح١٨٠٥.

هـ - السلام هو شعار الإسلام:

حث الإسلام أتباعه عند السلام على بعضهم أن يقولوا: السلام عليكم، وحثهم كذلك على إفشاء السلام فيما بينهم، فعن عبد الله بن سلام قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة استشرفه الناس فقالوا: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فخرجت فيمن خرج، فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول ما سمعته يقول: (يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا والناس نيام تدخلون الجنة بسلام).[1] والسلام كذلك هو تحية المؤمنين في الجنة، وتحية الملائكة للمؤمنين، والجنة هي دار السلام، والله تعالى هو السلام، فاللهم أنت السلام ومنك السلام فأدخلنا الجنة دار السلام بسلام، آمين.

٣- أثر الإيمان على تطبيق الأحكام وحفظ النظام:

إن الإيمان بالله تعالى ومراقبته تسهل قيادة المؤمنين ولو كانوا ملايين، أما الفوضويون واللادينيون فيعسر تنظيمهم وقيادتهم ولو كانوا أفرادا لأنهم فوضويون ولا أمان لهم، فالإيمان يعتبر أمضى

---

[1] أخرجه الدارمي في سننه ج ٢/ص ٣٥٧/ح ٢٦٣٢، وأخرجه الترمذي في سننه ج٤/ص٦٥٣/ح٢٤٨٥. و ابن ماجه في سننه ج١/ص٤٢٣/ح١٣٣٤، ج٢/ص١٠٨٣/ح٣٢٥١. و ابن حنبل في مسنده ج٥/ص٤٥١/ح٢٣٨٣٥. و الحاكم في مستدركه ج٣/ص١٤/ح٤٢٨٣، ج٤/ص١٧٦/ح٧٢٧٧. و القضاعي في مسند الشهاب ج١/ص٤١٨/ح٧١٩. و البيهقي في سننه الكبرى ج٢/ص٥٠٢/ح٤٤٢٢. و عبد بن حميد في مسنده ج١/ص١٧٩/ح٤٩٦. و عبد الرزاق في مصنفه ج٥/ص٢١٧/ح٢٥٣٨٩، ج٥/ص٢٤٨/ح٢٥٧٤٠، ج٧/ص٢٥٧/ح٣٥٨٤٧.و الدارمي في سننه ج١/ص٤٠٥/ح١٤٦٠، ج٢/ص٣٥٧/ح٢٦٣٢. والطبراني في معجمه الأوسط ج٥/ص٣١٣/ح٥٤١٠.

سلاح وأقواه على نفوس المواطنين في أي دولة، وسلطانه أقوى من سلطان الشرطة وغيرها من القوى الرادعة، والإيمان يمنح الفرد والمجتمع قوة إلزامية بالتزام أحكام الشرع وحفظ الحقوق والابتعاد عن الانحراف.

أما أثر نظام العقوبات في الإسلام على الأمن فإنه واضح وضوح الشمس لأن الإسلام شرع حدودا وعقوبات تتناسب مع الجرائم التي ارتكبت ، وفي إقامتها وتطبيقها رادع للمجرمين قال تعالى : (ولكم في القصاص حياة يا اؤلي الألباب) البقرة: ١٧٩، وبذلك يتحقق الأمن للفرد والمجتمع.

يتبين لنا مما سبق أن الإيمان هو أول الأهداف السامية والغايات النبيلة التي أنزلت من أجلها الكتب، وأرسل من أجلها الرسل، وإن المقصد الرئيس للإيمان هو حفظ الضروريات الخمس: الدين والنفس والعقل والمال والعرض، وتأمين الرعاية لها ومنع الاعتداء عليها، والاحتياط من الإخلال بها، وبذلك يتحقق الأمن الذي تنشده البشرية في كل زمان ومكان ويسود فيه العدل والسلام اللذان تصبو إليهما الإنسانية قديما وحديثا، سلما فتكبح جماح الإرهاب الدولي ويتحقق الأمن المحلي والدولي.[١]

ثانيا: الإخاء الديني وتساوي البشر في أصل خلقهم:

أقر الإسلام في أسسه أن الناس خلقوا من جنس واحد ونفس

---

[١] محمد الزحيلي، الإيمان أساس الأمن، ص: ٥٨- ٥٩.

واحدة فقال تعالى: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة..)، وكرم الله تعالى الإنسان فقال: (ولقد كرمنا بني آدم) الإسراء: ٧٠، وقد أقر الإسلام مبدأ مساواة الناس في الخلقة وأن أكرمهم عند الله أتقاهم فقال تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات:١٣، ومن هنا فلا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى، فعن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن ربكم واحد وأباكم واحد، ولا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى)،[1] فالمسلم ينظر للبشر على أنهم إخوة له في الإنسانية، وللمؤمنين على أنهم إخوة له في الإيمان والعقيدة، قال سيدنا علي كرم الله وجهه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر: الناس عندك صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق.[2] وجعل الإسلام الإحسان إلى الناس من أهم القربات إلى الله فقال صلى الله عليه وسلم: (الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله).[3]

---

[1] أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط ج ٥/ص ٨٦/ح ٤٧٤٩، وأخرجه ابن حنبل في مسنده ج٥/ص٤١١/ح٢٣٥٣٦، و الحارث / الهيثمي في مسنده (الزوائد) ج١/ص١٩٤/ح٥١، و الطبراني في معجمه الأوسط ج٥/ص٨٦/ح٤٧٤٩، ج٥/ص٨٧/ح٤٧٤٩.

[2] وهبة الزحيلي، أحكام الحرب في الإسلام، ص: ٢٣.

[3] أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ج ٢/ص ٢٥٥/ح ١٣٠٦، وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير ج١٠/ص٨٦/ح١٠٠٣٣، و القضاعي في مسند الشهاب ج٢/ص٢٥٦/ح١٣٠٦، و الحارث / الهيثمي في مسنده (الزوائد) ج٢/ص٨٥٧/ح٩١١، و أبي يعلى في مسنده ج٦/ص٦٦/ح٣٣١٥، ج٦/ص١٠٦/ح٣٣٧٠، ج٦/ص١٩٤/ح٣٤٧٨، و الطبراني في معجمه الأوسط ج٥/ص٣٥٦/ح٥٥٤١.

ثالثا: الدعوة للسلم لا الحرب:

يكاد يجمع الفقهاء المسلمون على أن الأصل في الإسلام هو السلم لا الحرب، وأن الحرب ضرورة يلجأ إليها في حدود الحق والعدل، فالحرب في الإسلام هي حرب دفاعية ضد العدوان ومحاربة الظلم ونصرة المظلومين وكفالة حرية العقيدة، أو هي حرب وقائية لإضعاف العدو الذي يمنع نشر الدعوة الإسلامية ويتربص بها الدوائر. وإن أساس العلاقة بين المسلمين وغيرهم خارج الدولة الإسلامية هو السلم لا الحرب إذ الحرب أمر طارئ على تلك العلاقة البشرية كما ذكر الطبري والثوري والأوزاعي وغيرهم من الفقهاء والمجتهدين.[1]

والحرب في الإسلام محصورة في أضيق نطاق فهي لا تتجاوز إلى المدنيين المسالمين ولا إلى علماء الدين والرهبان المنعزلين، وإنما تقتصر على الجيوش المتحاربة، [2] والإسلام يحرص دائما على السلام المستقر الدائم العادل كما قال تعالى: (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها..) الأنفال:٦١، ولهذا قال عمرو بن العاص رضي الله عنه لأرطبون الروم قائد معركة أجنادين في فلسطين: أدعوك إلى الإسلام، فإن أبيتم فالتسليم ودفع الجزية، وإن أبيتم فالحرب الحرب، إننا دعاة إسلام وسلام نجاهد من أجل الحق وإعلاء كلمة الله.[3] فالأصل في الإسلام أن إراقة الدماء محظور وإن جوهر الإسلام تحقيق السلام

---

[1] وهبة الزحيلي، أحكام الحرب في الإسلام، ص: ١٠ .

[2] المرجع السابق، ص: ١٤ .

[3] المرجع السابق نفسه، ص: ٢٣ .

العام وإظهار الرحمة العامة لجميع البشر ، والحرب ضرورة قصوى،[1] قال تعالى : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) البقرة:١٩٣.

وإذا كانت الدعوة الإسلامية عالمية يراد نشرها بالوسائل السلمية والحجة العقلية ، فلا معنى إذن لأن تفرض على أحد بقوة السلاح لأن السيف أثره مؤقت ولهذا قال تعالى : (لا إكراه في الدين)، البقرة:٢٥٦ ، والإسلام لا يريد أتباعا منافقين يخافون من سطوة السلاح، وإنما يريد أتباعا صادقين، والخالق سبحانه أراد أن تتعدد الفرق والأديان لا أن يسيطر دين واحد على الأرض فقال تعالى: (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) يونس: ٩٩. لذا فالقاعدة الإسلامية في التعامل مع أهل الكتاب وغيرهم أنه لا إكراه في الدين وإنما الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

رابعا: الدعوة للعيش المشترك مع أهل الكتاب:

أمر الإسلام أتباعه بمعاملة أهل الكتاب أحسن معاملة كمواطنين صالحين في الدولة الإسلامية، وجعل لهم حقوق المواطن المسلم، ومنع من إذايتهم فقال صلى الله عليه وسلم : (من آذى ذميا فقد آذاني)،[2] وقال الله تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم

---

[1] المرجع السابق نفسه، ص: ٢٣.

[2] أخرجه في كنز العمال حديث رقم:١٠٩١٣.

يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) الممتحنة: ٨، وعندما تقوم الحرب فالمسلمون هم أول من يرجع للسلم إما باعتناق الطرف الآخر للإسلام، أو بالمعاهدة والصلح، أو بالفتح، أو بالانسحاب الجماعي للجيش، أو بالتحكيم في حال نشوب نزاع بين جيشين إسلاميين، أو بعهود الأمان التي يجب احترامها والالتزام بها شرعا، قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) المائدة: ١، وهناك آيات كثيرة تحث على الوفاء بالعهود، وقد نصت السنة النبوية الشريفة على حماية الرسل والسفراء وعدم الغدر بهم، وها هو صلاح الدين الأيوبي كان يذهب بنفسه لعلاج ريتشارد قلب الأسد من مرضه الخطير الذي أصابه ويطلق سراح الأسرى الفرنجة بشفاعة نسائهم مما يدل على موقف إنساني رفيع للمسلمين والإسلام في الحرب ...[1] فالإسلام إذن حريص بكل مبادئ السلم والحرب التي وضعها على" إقامة سلام عالمي فعال تسود فيه الحرية والقيم الإنسانية ، وتنعم البشرية فيه بالأمن والاستقرار وتنشغل بما يوطد دعائم المدنية وتزدهر به الحضارة العالمية"[2].

خامسا: الدعوة لإرساء السلام والأمن العالمي وأثر الإيمان في ذلك:

يؤثر الإيمان على إرساء الأمن العالمي أيما تأثير، فهو يقوم بتحقيق كل من الأمن الداخلي في الدولة، وتحقيق الأمن بين الدول الإسلامية وبين المؤمنين، فالمؤمن أخ المؤمن ، والمؤمن للمؤمن

---

[1] وهبة الزحيلي، أحكام الحرب في الإسلام، ص: ٣٠ .

[2] المرجع السابق نفسه، ص: ٣٩ .

كالبنيان المرصوص قال تعالى : (إنما المؤمنون إخوة) الحجرات:١٠، وكذلك يقوم الإيمان بتحقيق الأمن والسلام العالميين إذ إنه يحث المسلم على مد جسور التواصل بين الأمم والشعوب الأخرى مسلمة وغير مسلمة، ويدعو الإيمان المؤمن لاحترام العهود والمواثيق الدولية في السلم والحرب قال تعالى : (فإن اعتزلوكم ولم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) النساء: ٩٠، وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) البقرة:٢٠٨، وإن حصل خلاف بين المؤمنين قامت طائفة منهم بنصر الطائفة المظلومة قال تعالى: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما) الحجرات:٩، وتمتد الأيدي المؤمنة لحفظ الأمن العالمي ورأب الصدع، وتتكاتف الدول على منع العدوان إلى حد ما، وكبح جماح الإرهاب الدولي، وتقف الدول إلى جانب الشعوب المظلومة، وتطهر المجتمع من مختلف الانحرافات السلوكية، وتحافظ على الدولة ومؤسساتها.[1]

***

---

[1] محمد الزحيلي، الإيمان أساس الأمن، ص: ٥٧- ٥٩.

القسم الثاني

سبل تحقيق الأمن في مكة المكرمة في ضوء القرآن والسنة

المطلب الأول: تأسيس أمن مكة في القرآن والسنة:

ذكرت مكة في القرآن الكريم بأسماء عديدة، وفي سور عديدة، وكذلك ذكرت في السنة النبوية في مواطن لا حصر لها. وقد اقترن ذكر مكة أو أحد أسمائها في القرآن الكريم بلفظ الأمن في ستة مواضع، وهذا يدل على أهمية هذا المكان في كونه موئلا ليأمن الناس فيه، وكذلك أطلقت كلمة الحرم على هذا المكان لإضفاء صفة الحرمة عليه، ولأن هناك أمورا كثيرة حرم فعلها فيه وهي حلال في غيره من المواضع،[1] وألصق بذكر مكة لفظ الأمن لتستقر في النفوس الطمأنينة إليها وإلى حبها فيحج الناس إليها لأداء المناسك وأنواع العبادة. وقد أقر الله تعالى حرمة هذا المكان المبارك وأمنه منذ أن خلق السموات والأرض، وقبل أن يرفع إبراهيم عليه السلام القواعد من البيت، فقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال: (يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام إلى يوم القيامة، لا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا يأخذ لقطتها إلا منشد)، فقال العباس: إلا الإذخر، فإنه للبيوت والقبور، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إلا الإذخر).[2] فأعظم بحرمة بلدة

---

[1] الراغب الأصفهاني، المفردات، ص: ١٢٢.

[2] أخرجه ابن ماجه في سننه ج ٢/ص ١٠٣٨/ح ٣١٠٩، ومسلم في صحيحه ج٢/ص٩٨٧/ح١٣٥٣، ج٢/ص٩٨٩/ح١٣٥٥. و البخاري في صحيحه ج١/ص٥٤/ح١١٢، ج١/ص٤٥٣/ح١٢٨٤، ج٢/ص٥٧٥/ح١٥١٠، والنسائي في سننه ج٥/ص٢٠٤/ح٢٨٧٤، ج٥/ص٢٠٥/ح٢٨٧٥، =

حرمها الله سبحانه منذ أن خلق السموات والأرض.

الآيات القرآنية التي اقترن فيها ذكر مكة مع الأمن:

١- إذا استعرضنا آيات القرآن الحكيم فإن أول ما نطالعه في سورة البقرة هو قوله تعالى: (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) البقرة: ١٢٥ ، فقد جعل الله تعالى هذا البيت المقدس أولا: مرجعا للناس ومعاذا يأتونه كل عام ويرجعون إليه فلا يقضون منه وطرا ، وكلما أتوه وانصرفوا اشتاقوا للرجوع إليه.[1]

ثانيا: جعله الله تعالى مأمنا يلجؤون إليه[2] في وقت الشدة وفي سائر الأوقات ويحتمون بحماه (ومن دخله كان آمنا) آل عمران: ٩٧. وقد لزمت صفة الأمن هذا المكان حتى في الجاهلية فكان الرجل يرى قاتل أبيه في الحرم فلا يتعرض له، وهذا الشيء توارثه العرب من

=

ج٥/ص٢١١/ح٢٨٩٢. و ابن حبان في صحيحه ج٩/ص٢٣/ح٣٧٠٨، و الترمذي في سننه ج٥/ص٧٢٣/ح٣٩٢٥. و ابن ماجه في سننه ج٢/ص١٠٣٨/ح٣١٠٩.، وقارن بالغبان، فضائل مكة، ج:١، ص: ٩٤.

[1] علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥/١٩٩٤)، ط١، ج:١، ص:٢٠٤ ، وقارن بمحمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥/١٩٩٥)، ج: ١، ص: ٧٤١.

[2] محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٢/١٩٩٢)، ج:١، ص: ٦٠٨، وقارن بإسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (دمشق: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥/١٩٩٤)، ط٢، ج: ١، ص: ٢١٦- ٢١٩.

دين إسماعيل عليه السلام فبقوا عليه حتى أيام النبي صلى الله عليه وسلم. ومن أصاب فيه جريرة أقيم عليه الحد فيه بالإجماع، وأما من أحدث حدثا خارج الحرم ثم لجأ إليه فإن الإمام الشافعي يرى أنه لا يأمن بالالتجاء إليه ويستوفى منه فيه فالحرم لا يعيذ عاصيا كما جاء في الخبر. وأما الإمام أبوحنيفة فيرى أن من أحدث حدثا خارج الحرم ثم لجأ إليه أمن من أن يهاج فيه، ولكن لا يؤوى ولا يخالط ولا يبايع، فإذا خرج من الحرم أقيم عليه الحد.[1]

٢- يستمر مطلع القرآن الكريم بسرد قصة مكة ودعاء إبراهيم عليه السلام لها بأن يستتب فيها الأمن الحسي والمعنوي، فهي تقع في منطقة صحراوية شاسعة يسودها الفوضى والاعتداء، وكذلك تقع في واد غير زرع، فقال الله تعالى: (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات...) البقرة: ١٢٦. وقد استجاب الله تعالى دعوة إبراهيم عليه السلام بجعل مكة بلدا حراما آمنا من الجدب والقحط والغارات،[2] يحبه الناس، ويجبون إليه ثمرات الدنيا وخيراتها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها، وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإني دعوت في صاعها ومدها بمثلي ما دعا به إبراهيم لأهل مكة).[3] وقال

---

[1] الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: ١، ص: ٢٠٤، وقارن بمحمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧/١٩٩٦)، ط٥، ج: ٢، ص: ٧٦.

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: ٢، ص: ٨١.

[3] ا أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ج ٤/ص ٢٥٧/ح ٤٣٢٥، ومسلم في صحيحه ج٢/ص٩٩١/ح١٣٦٠، ج٢/ص٩٩٢/ح١٣٦٢، ج٢/ص٩٩٢/ح١٣٦٣، ج٢/ص٩٩٣/ح١٣٦٣، و البخاري =

ابن عباس رضي الله عنه في تفسير (رب اجعل هذا بلدا آمنا..): يريد حراما محرما لا يصاد طيره، ولا يقطع شجره، ولا يختلى خلاه.[1] أما دعاء إبراهيم عليه السلام برزق أهلها من الثمرات فقد استجاب الله تعالى له فقال تعالى: (أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء) القصص: ٥٧، ونحن نرى في زماننا هذا الأمر محققا حيث إن الله تعالى جعل مكة آمن بقاع الأرض وأحبها للمؤمنين، يأتيها رزقها رغدا من كل بقاع العالم، فاللهم زد هذا المكان تشريفا وتعظيما. ودعاء إبراهيم عليه السلام السابق يتكرر نفسه في سورة إبراهيم، قال الله تعالى: (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام... ربنا إني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) إبراهيم: ٣٥ و ٣٧.

فتؤكد هذه الآيات القرآنية ما سبق ذكره في سورة البقرة من استجابة الله تعالى لدعاء إبراهيم عليه السلام في جعل مكة بلدا آمنا مباركا، وهو الأمر الذي ذكره الله تعالى في قوله: (إن أول بيت وضع

=

في صحيحه ج٢/ص٦٦١/ح١٧٦٨، ج٢/ص٦٦١/ح١٧٧٠، ج٢/ص٦٦٢/ح١٧٧١، و ابن حبان في صحيحه ج٩/ص٣٣/ح٣٧١٧، ج٩/ص٤٤/ح٣٧٢٥، ج٩/ص٦٧/ح٣٧٥١، و الترمذي في سننه ج٥/ص٧٢١/ح٣٩٢١، ج٥/ص٧٢١/ح٣٩٢٢. و أبي داود في سننه ج٢/ص٢١٦/ح٢٠٣٤. و ابن حنبل في مسنده ج١/ص١٢٦/ح١٠٣٧، و مالك في الموطأ ج٢/ص٨٨٩/ح١٥٧٦، ج٢/ص٨٩٠/ح١٥٧٧، ج٢/ص٨٩٤/ح١٥٨٥. و الطحاوي في شرح معاني آثار ج٤/ص١٩١، و الطيالسي في مسنده ج١/ص٣٠/ح٢١٨. وقارن بالغبان، فضائل مكة، ج:١، ص: ١٧٩.

[1] الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: ١، ص: ٢١٠.

للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين. فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) آل عمران: ٩٦- ٩٧، وعن علي رضي الله عنه قال له رجل: أخبرني عن البيت: أهو أول بيت وضع للناس ؟ قال: (لا، لكنه أول بيت وضعت فيه البركة مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمنا).[١] فهذا البيت العتيق هو أول بيت وضعت البركة فيه في الأرض حيث تضاعف فيه الحسنات وتتنزل فيه الرحمات، ومن هناك انطلقت هداية الله تعالى للعالمين ببعثة أنبياء كثر وعلى رأسهم خاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك فإن في استقبال البيت والحج إليه صلاح وهداية للناس.

ومن الآيات البينات التي خص الله تعالى بها ذلك المكان كما قال المفسرون: أمن الخائف وامتناع الطير من العلو عليه، واستشفاء المريض، وتعجيل العقوبة لمن انتهك فيه حرمة، وإهلاك أصحاب الفيل لما قصدوا الإضرار به، وغيرها من أمور. ومعنى قوله تعالى: (ومن دخله كان آمنا) آل عمران: ٩٧ ، أن إبراهيم عليه السلام سأل الله عز وجل أن يؤمن سكان مكة ، وقال: (رب اجعل هذا البلد آمنا) فجعل الله أمن مكة آية لأبراهيم فلم يطمع في أهلها جبار، وكان فيما عطف الله تعالى في قلوب العرب في الجاهلية على من لاذ بالحرم حتى يؤمنوه آية بينة،[٢] فمن دخله أمن على نفسه من أن يتعرض له بسوء.

---

[١] قارن بالغبان، فضائل مكة، ج:١، ص:٤٦٧.

[٢] الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: ١، ص: ٤٦٧.

٣- في خاتمة سورة العنكبوت نقرأ قوله تعالى: (أولم يروا أنا جعلنا **حرما آمنا** ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) العنكبوت: ٦٧.

في هذه الآية الكريمة يمن الله تعالى على الكفار من قريش أنه جعل لهم حرما آمنا يأمن فيه أهله على أنفسهم وأموالهم والناس حولهم خارج الحرم يتخطفون وهم غير آمنين، وذلك أن العرب كانت تغير بعضهم على بعض وأهل مكة آمنون في الحرم من القتل والسبي والغارة،[1] ولهذا قال لهم في آية أخرى مستنكرا مخافتهم من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم: (وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) القصص: ٥٧، فقريش قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: إن اتبعناك خفنا العرب على أنفسنا أن يخرجونا من أرضنا مكة إن تركنا ما يعبدون، فرد الله تعالى عليهم هذه الحجة بأنه سبحانه قد جعلهم متمكنين في بلد آمن حرم على الناس فيه سفك الدماء، وتأتيه الثمرات من كل حدب صوب رزقا من الله تعالى.[2] وقد كانت نظرة القرشيين نظرة "سطحية خاطئة أوحت لهؤلاء أن اتباع الهدى يعرضهم للمخافة ويغري بهم الأعداء ، ومع ذلك فهم لا

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: ١٣، ص: ٢٤١.

[2] الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: ٣، ص: ٤٠٤. قال يحيى بن سلام في تفسير الآية السابقة: كنتم آمنين في حرمي، تأكلون من رزقي، وتعبدون غيري، أفتخافون إذا عبدتموني، وآمنتم بي؟. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: ١٣، ص: ١٩٨.

ينكرون أنه الهدى ولكنهم يخافون في الوقت ذاته أن يتخطفهم الناس، وهم لا يدركون أن قوى الأرض لا تملك أن تتخطفهم وهم في حمى الله تعالى، ولا تملك أن تنصرهم إذا خذلهم الله، ذلك أن الإيمان لم يخالط قلوبهم، ولو خالطها لتبدلت نظرتهم للقوى، ولاختلف تقديرهم للأمور، ولعلموا أن الأمن لا يكون إلا في التزام منهج الله وأن الخوف لا يكون إلا في البعد عن هداه، وأن هذا الهدى موصول بالقوة، موصول بالعزة، وأن هذا ليس وهما وليس قولا يقال لطمأنة القلوب، إنما هو حقيقة عميقة منشؤها أن اتباع هدى الله معناه الاصطلاح مع ناموس الكون وهداه، والاستعانة بهذه القوة وتسخيرها في الحياة، والذي يتبع هدى الله يستمد مما في الكون من قوى غير محدودة، ويأوي إلى ركن شديد في واقع الحياة. وهدى الله منهج حياة صحيحة، حياة واقعة في هذه الأرض.. وحين يتحقق هذا المنهج تكون له السيادة الأرضية إلى جانب السعادة الأخروية".[1]

والحقيقة التي يجب أن يعلمها المسلمون اليوم علما يقينيا هي أن الأمن والأمان هو بالإيمان والالتزام بتعاليم الإسلام الحنيف وبالوسطية التي لا تطرف فيها ولا غلو (وكذلك جعلناكم أمة وسطا)، فكما جعل الله تعالى الكعبة في وسط العالم ومركزه، فكذلك فإن دين الإسلام هو الدين الوسطي، ولنعلن للعالم أجمع التزامنا الواضح بهذا الدين من دون محاباة ولا مداراة لأحد من الخلق

---

[1] سعد المرصفي، الكعبة مركز العالم، (بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٨/١٩٩٨)، ط١، ص: ٢٤٨- ٢٤٩.

ونعلنها كما أعلنها النبي صلى الله عليه وسلم يوما: (إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون أول المسلمين) النمل: ٩١، وبذلك نقطع وساوس الشيطان الذي يعدنا بالتخلف والفقر إن نحن استقمنا على الشريعة، ونستبدله بوعد الله لنا بالنصر والغنى والفضل منه إن نحن استقمنا، ونقطع بالتزامنا بديننا الخوف من مكر الأعداء ومضايقاتهم الاقتصادية وغيرها كما ظنت يوما قريش خطأً (إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا)، ففي التزام شرع الله تعالى السيادة والقوة والبركة والاحترام للمسلمين (أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) القصص: ٥٧، وقد ثبت عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أنه قال في تعظيم حرمة الكعبة: (لا تزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة حق تعظيمها، فإذا ضيعوا ذلك هلكوا)،[١] وعن جابر قال: لما افتتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة استقبلها بوجهه وقال: (أنت حرام، ما أعظم حرمتك، وأطيب ريحك، وأعظم حرمة عند الله منك: المؤمن).[٢] فوفقنا الله جميعا للاعتزاز بهذا الدين، وتعظيم هذا البيت الحرام، والبلد الحرام، والعمل على زيادة الأمن والطمأنينة فيه.

٤- نجد في آخر جزء من القرآن الكريم أربعة مواضع يتكلم الله تعالى فيها عن مكة المكرمة.

---

[١] الغبان، فضائل مكة، ج:١، ص:٢٦٠- ٢٦١.

[٢] المرجع السابق، ج:١، ص:٢٦٢.

أما الموضع الأول فهو قوله تعالى: (لا أقسم بهذا البلد **وأنت حل بهذا البلد**) البلد:١- ٢، ففي هذه الآيات تجلى عظمة حرمة هذا البيت عند الله تعالى وحرمة استحلال ما حرمه الله تعالى فيه، فرب العزة يقسم بالبلد مكة وقد أحلها لمحمد صلى الله عليه وسلم وحده ساعة من نهار فقاتل وقتل، ولم تحل لأحد قبله ولن تحل لأحد بعده إلى قيام الساعة، قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح: (لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي ولم تحل لي إلا ساعة من نهار).[1] وفي هذا القسم مدح عظيم للنبي صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى شأنه مدحه حيث إنه وقف عند حرمات الله ولم يستحل شيئا إلا بإذن الله تعالى، قال القرطبي: "هو ثناء على النبي صلى الله عليه وسلم، أي أنك غير مرتكب في هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه".[2]

وأما الموضع الثاني فهو قوله تعالى: (والتين والزيتون. وطور سينين. **وهذا البلد الأمين**) التين: ١- ٣، وقد سأل خزيمة بن حكيم النبي صلى الله عليه وسلم عن معنى البلد الأمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (البلد الأمين: مكة).[3] أقسم الله تعالى بمكة ووصفها

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه ج ٤/ص ٢١/ح ١٤٠٦، ومسلم في صحيحه ج٢/ص٩٨٩/ح١٣٥٥، و البخاري في صحيحه ج٢/ص٨٥٨/ح٢٣٠٢، و الترمذي في سننه ج٤/ص٢٢/ح١٤٠٦، و أبي داود في سننه ج٢/ص٢١٢/ح٢٠١٧، و ابن حنبل في مسنده ج٢/ص٢٣٨/ح٧٢٤١، ج٤/ص٣١/ح١٦٤٢٠، و الطحاوي في شرح معاني آثار ج٢/ص٢٦٠، و النسائي في سننه الكبرى ج٢/ص٣٨٥/ح٣٨٥٩، ج٣/ص٤٣١/ح٥٨٤٦ .

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: ٢٠، ص: ٤١.

[3] الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: ٤، ص: ٥٢٣، وقارن بالقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: ٢٠، ص: ٧٧.

بأجمل وصف وأهمه ألا وهو أنها بلد أمين، كيف لا وهي حرم الله وهي مبعث خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، وأقسم بمنبت التين وهو القدس الشريف حيث مبعث عيسى عليه السلام، وأقسم بطور سيناء حيث مبعث سيدنا موسى عليه السلام.

أما الموضع الثالث والرابع فهو قوله تعالى: ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل...)، و قوله تعالى: (لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) قريش: ١- ٤.

ففي سورة الفيل تجلت أعلى صور الحماية التي ضمنها الله تعالى لبيته وحرمه، فهي درس عملي وعبرة لكل من سولت له نفسه المساس بأمن هذا البيت وأهله، فكما سلط الله تعالى على جيش أبرهة الأشرم جنودا من طير أبابيل فأهلكت جيشه وجعلتهم كعصف مأكول، فكذلك يهلك الله تعالى كل جيش أو شخص قصد إلحاق الأذى بهذا البيت وبحرمته وكذلك يعذب الله تعالى كل من يعبث بأمنه.

أما في سورة قريش التي تلي سورة الفيل مباشرة ففيها إشارة واضحة إلى أن حادثة الفيل كانت لكي تألف قريش وتأمن في رحلتها التجارية خلال فصل الشتاء والصيف إلى كل من اليمن والشام. كل ذلك إرهاصا ببعثة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم فيهم. فبعد هزيمة أبرهة هزيمة منكرة وإهلاك الله تعالى له ولجيشه عظمت قريش في نفوس العرب وقالوا: أهل الله قاتل عنهم وكفاهم

مؤونة عدوهم، [١] وعظمت حرمة البيت وساكنيه في نفوس العرب، فصاروا لا يتعرضون لتجارة قريش إذا هي مرت بهم بالرغم من المخاطر العظيمة التي كانت تتعرض لها التجارات الأخرى في ذلك الزمان، فصارت قريش تسير في الأرض بلا خوف ولا وجل وازدهرت تجارتهم وأمنت بلادهم، [٢] ولهذا يمن الله تعالى عليهم بقوله: (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)، فكان المفروض من قريش أن تعتبر وتتبع النبي صلى الله عليه وسلم ولا تحاربه، وتعبد الله تعالى وتوحده لأنه هو الذي بعث رسوله بالهدى ودين الحق، وهو الذي أمنهم بعد خوف، وأطعمهم بعد جوع، وأغناهم بعد فاقة. وحري بنا نحن المسلمين اليوم أن نحافظ على حرمة البيت وحرمة شعائر الله تعالى لتعم البركة ويأمن الناس في كل العالم الإسلامي بل وفي العالم أجمع ببركة البيت الحرام وببركة هذا الدين الإسلامي الحنيف.

سبل تحقيق الأمن الاجتماعي والفردي في مكة المكرمة:

مكة المكرمة هي البلد الحرام الذي يأمن فيه الإنسان والحيوان والطير والنبات، وقد جاءت الشريعة الإسلامية الحنيفة التي هي استمرار لدين إبراهيم عليه السلام الذي هو دين الله تعالى، فأقرت وأكدت حرمتها فأعلن حرمتها إبراهيم عليه السلام وأكد ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لما فتح مكة وقام في الناس

---

[١] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: ٢٠، ص: ١٣٣.

[٢] المصدر السابق، ج: ٢٠، ص: ١٣٧.

خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال: (إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين وإنها لن تحل لأحد كان قبلي، وإنها أحلت لي ساعة من نهار، وإنها لن تحل لأحد بعدي، فلا ينفر صيدها، ولا يختلى شوكها، ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين، إما أن يفدي، وإما أن يقتل...).[1]

ولنبدأ بالكلام عن سبل تحقيق الأمن الاجتماعي فيها.

أولا: سبل تحقيق الأمن الاجتماعي فيها:

أوجبت الشريعة الإسلامية تطبيق تشريعات عديدة تحقق الأمن الاجتماعي لمن يسكن مكة أو يقصدها للحج أو العمرة أو غيرها، وذلك عبر الأمور التالية:

١- تحريم القتال في مكة:

إذا كان الله تعالى قد حرم القتال في الأشهر الحرم فقد حرم أيضا القتال وبشدة في داخل الحرم، وذلك لأن هذا البلد إنما جعل في الأرض للتجرد للطاعة والعبادة، فكان الواجب توفير الأمن الكامل فيه لكل من دخله وتطهيره من كل دنس حسي ومعنوي، والابتعاد

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه ج٢/ص٩٨٧/ح١٣٥٣، ج٢/ص٩٨٩/ح١٣٥٥، ج٢/ص٩٨٩/ح١٣٥٥، و البخاري في صحيحه ج١/ص٥٤/ح١١٢، ج١/ص٤٥٣/ح١٢٨٤، و النسائي في سننه ج٥/ص٢٠٤/ح٢٨٧٤، و ابن حبان في صحيحه ج٩/ص٢٣/ح٣٧٠٨، ج٩/ص٣٠/ح٣٧١٥، و الترمذي في سننه ج٤/ص٢٢/ح١٤٠٦ و ابن ماجه في سننه ج٢/ص١٠٣٨/ح٣١٠٩، و أبي داود في سننه ج٢/ص٢١٢/ح٢٠١٧، و ابن حنبل في مسنده ج١/ص٢٥٩/ح٢٣٥٣، ج١/ص٣١٦/ح٢٨٩٨، وقارن بالغبان، فضائل مكة، ج:١، ص:٨٤.

عن الظلم بكل أنواعه وخصوصا القتل الذي هو من ألزم الواجبات فيه لأنه إفساد في الأرض، ويثير الرعب والقلق بين الناس ويمنعهم من أداء العبادات المفروضة عليهم فيه، وقد قال الله تعالى: (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) الحج: ٢٥، والقتل بغير حق هو من أعلى أنواع الظلم، وقال العلماء إن هذه الآية فيها تحذير من مجرد التفكير بعمل الذنب في داخل الحرم، فلو فكر إنسان من خارج مكة في أي مكان من الدنيا أن يقتل أحدا في مكة أو إيذاءه كتب عليه وزر ذلك ولو لم يقتل أو لم يؤذ إلا إذا تاب، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسند ظهره إلى الكعبة يوم الفتح: (إن أعدى الناس على الله من قتل في الحرم، أو قتل غير قاتله، أو قتل بذحول الجاهلية) رواه أحمد،[1] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ستة لعنهم الله وكل نبي كان: الزائد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمتسلط بالجبروت ليعز من أذل الله، والمستحل لحرم الله، والمستحل من عترتي ما حرم الله، والتارك لسنتي) رواه الترمذي.[2]

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن المظاهر التي قد تثير قلق الناس، ومنها حمل السلاح من غير ضرورة في مكة فقال صلى الله عليه وسلم: (لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح)،[3] وذهب جمهور العلماء إلى أن هذا النهي إذا لم تكن هناك ضرورة ولا حاجة،

---

[1] الغبان، فضائل مكة، ج:١، ص:٢٠٨.

[2] المرجع السابق، ج:١، ص:١٩٤.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه ج٢/ص٩٨٩/ح١٣٥٦، و البيهقي في سننه الكبرى ج٥/ص١٥٥/ح٩٤٨١. وقارن بالغبان، فضائل مكة، ج:١، ص:٢٢١.

أما إن كان ثمة حاجة وضرورة فيجوز كما هو الحال في زماننا إذ جوز العلماء لرجال الأمن دون غيرهم حمل السلاح فيه وذلك ردعا للمجرمين والمفسدين في الأرض، وإن منع الشرطة مطلقا من حمل السلاح فيه يؤدي لمفسدة راجحة.[١] ومما استدل العلماء به على جواز حمل السلاح فيه للضرورة هو دخول النبي صلى الله عليه وسلم عام عمرة القضاء بما شرطه من السلاح في القراب، وكذا دخوله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح متأهبا للقتال هو وأصحابه.

٢- الحث على عمل الخيرات فيها بمضاعفة الأجر، والتحذير من عمل السيئات فيها بمضاعفة الإثم:

إن مما يجعل هذه البلدة المباركة مميزة عن غيرها هو مضاعفة الحسنات فيها وذلك حثا على عمل أنواع الخيرات فيها لينتشر الأمن والرخاء بين الناس القاطنين فيها، ومما يثلج الصدور ما رأيته شخصيا في الحرمين الشريفين في رمضان الشريف من تسابق الناس في تفطير الصائمين وإغاثة الملهوفين وإطعام المساكين وذلك طمعا في الأجر العظيم، وكذلك يحرص الناس على تأدية الصلوات في الحرم المكي طمعا في الأجر العظيم لأن كل ركعة تعادل مائة ألف ركعة فيما سواه. ومن المظاهر الجميلة التي تراها في الحرم ولا تراها في مكان آخر هو مسارعة الحجاج والمعتمرين وغيرهم في إطعام حمام وطيور مكة. ومن الأحاديث التي تدل على مضاعفة الحسنات في

---

[١] الغبان، فضائل مكة، ج:١، ص:٢٢٢.

الحرم قوله صلى الله عليه وسلم: (من حج ماشيا كتب له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم، قال بعضهم: وما حسنات الحرم؟ قال: كل حسنة بمائة ألف حسنة).[١]

وبالمقابل فإن الشارع الحكيم وضع رادعا كبيرا عن فعل المنكرات واقتراف السيئات وإخلال الأمن في الحرم فجعل السيئة بمائة ألف سيئة. ومما يدل على عظم السيئات في الحرم قوله تعالى: (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم)، ومعنى الإلحاد الميل، وألحد فلان: مال عن الحق، "والإلحاد نوعان: إلحاد إلى الشرك بالله ، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب، فالأول ينافي الإيمان ويبطله، والثاني يوهن عراه ولا يبطله"،[٢] وإذا كان المراد بالإلحاد الظلم مطلقا فيعم كل معصية كبيرة أم صغيرة، قال ابن حجر: واستشكل بأن مرتكب الصغيرة مائل عن الحق، والجواب: أن هذه الصيغة في العرف مستعملة للخارج عن الدين، فإذا وصف به من ارتكب معصية كان في ذلك إشارة إلى عظمها، وقيل: إيراده بالجملة الاسمية مشعر بثبوت الصفة، ثم التنكير للتعظيم فيكون ذلك إشارة إلى عظم الذنب"[٣] المرتكب في الحرم الشريف. قال الواحدي: " ومعنى الإلحاد في اللغة العدول عن القصد، واختلفوا في معناه هنا، فقال مجاهد وقتادة: هو

---

[١] أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ج٤/ص٢٤٤/ح٢٧٩١، و الحاكم في مستدركه ج١/ص٦٣٢/ح١٦٩٢، و الطبراني في معجمه الكبير ج١٢/ص١٠٥/ح١٢٦٠٦، و البيهقي في سننه الكبرى ج١٠/ص٧٨/ح١٩٨٩٤. وقارن بالغبان، فضائل مكة، ج:١، ص:٣٥.

[٢] الراغب الأصفهاني، المفردات، ص: ٤٥١- ٤٥٢.

[٣] الغبان، فضائل مكة، ج:١، ص:٣٣٨، حاشية رقم: ١.

الشرك وعبادة غير الله، وقال آخرون: هو كل شيء كان منهيا عنه، وحتى شتم الخادم، وقال عطاء: هو دخول مكة بغير إحرام، وأذى حمام مكة، وأشياء كثيرة لا يجوز للمحرم أن يفعلها .. وقال الضحاك: إن الرجل ليهم بالخطيئة بمكة وهو بأرض أخرى فتكتب عليه ولم يعملها، ونحو هذا قال ابن مسعود إلا أن يتوب.[1] قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه) رواه البخاري والبيهقي،[2] فإذا كان مجرد الهم بالذنب يكتب ذنبا في مكة المكرمة ما لم يتب الإنسان، فإن في ذلك تحذيرا عظيما إتيان أي نوع من المنكرات، وهذا سبب عظيم في تحقيق الأمن وردع الظالمين والمعتدين، ومضاعفة السيئات والذنوب هناك كان سببا رئيسا في تفضيل العلماء للسكنى في المدينة دون مكة.[3]

٣- منع دخول المشركين في الحرم:

قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا...) التوبة: ٢٨، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعثني أبو بكر الصديق رضي الله عنه في الحجة التي أمّره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع في

---

[1] الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: ٣، ص:٢٦٦.

[2] الغبان، فضائل مكة، ج:١، ص:٣٣٨.

[3] انظر الفاكهي، أخبار مكة، ج: ٢ن ص: ٣٠٤- ٣٠٩ ذكر من كره الجوار في مكة مخافة الذنوب بها.

رهط يؤذّنون في الناس يوم النحر: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان)، [1] وعن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه أنه سمع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول: (لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلما)، وعن عائشة رضي اللّه عنها قالت: كان آخر ما عهد سمع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أن قال: (لا يترك بجزيرة العرب دينان)، [2] فالآية السابقة والأحاديث السابقة جعلت للحرم حرمة تمنع من دخول غير المؤمن فيه، وفي ذلك تعظيم للحرم في أنه لا يستحق غير المؤمن أن يتعرض لنفحاته، والمنع كذلك كان بسبب أن المشركين لا يتطهرون ولا يتوضؤون ولا يصلون، [3] إضافة لذلك فهم لايؤمنون بقدسية ذلك المكان فلا يحترمونه، ولهذا فقد يصيبوه أويصيبوا من بداخله بأذى حسي أو معنوي، ومن هنا كان المنع القاطع، قال اللّه تعالى: (في بيوت أذن اللّه أن ترفع ويذكر

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه ج٢/ص٨٩٦/ح١٢٢١، ج٢/ص٩٨٢/ح١٣٤٧، و البخاري في صحيحه ج١/ص١٤٥/ح٣٦٢، و النسائي في سننه ج٥/ص٢٣٤/ح٢٩٥٧، و ابن خزيمة في صحيحه ج٤/ص٢٠٩/ح٢٧٠٢، و الترمذي في سننه ج٣/ص٢٢٢/ح٨٧١، ج٥/ص٢٧٧/ح٣٠٩٢، و أبي داود في سننه ج٢/ص١٩٥/ح١٩٤٦، و ابن حنبل في مسنده ج١/ص٧٩/ح٥٩٤، ج٣/ص٣٣٩/ح١٤٦٩٠، ج٣/ص٣٩٢/ح١٥٢٥٨، و الحاكم في مستدركه ج٣/ص٥٤/ح٤٣٧٦، ج٤/ص١٩٨/ح٧٣٥٤، و النسائي في سننه الكبرى ج٢/ص٤٠٧/ح٣٩٤٨، ج٢/ص٤٠٨/ح٣٩٥٠.قارن بالغبان، فضائل مكة، ج:١، ص:٢٧٦.

[2] أخرجه ابن حبان في صحيحه ج٩/ص٧٠/ح٣٧٥٣، و الترمذي في سننه ج٤/ص١٥٦/ح١٦٠٦، و ابن حنبل في مسنده ج١/ص٣٢/ح٢١٥، ج١/ص١٩٥/ح١٦٩١، و البيهقي في سننه الكبرى ج٩/ص٢٠٨/ح١٨٥٢٩، و ابن الجعد في مسنده ج١/ص٤٦٤/ح٣١٩٩.، وقارن بالغبان، فضائل مكة، ج:١، ص:٤٦، و ٥١.

[3] الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: ٢، ص: ٤٨٨.

فيها اسمه) النور: ٣٦، ودخول المشركين في بيوت الله سبحانه مناقض لترفيعها.[١]

٤- الحج وبعض أحكامه وأثرها في تحقيق الأمن:

قال الله تعالى: (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب) البقرة: ١٩٧.

وقال أيضا: (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله...) الحج: ٢٧- ٢٨.

إن الحج هو الركن الإسلامي الخامس، وقد شرع لحكم عديدة، وهو من أعلى أنواع العبادات في الإسلام التي تؤدى في مكان خاص هو مكة، وفي زمان خاص وهو ذو الحجة. والحج مؤتمر سنوي إسلامي عظيم يجسد فيما يجسده وحدة الأمة الإسلامية ويصهر المسلمين في بوتقة واحدة فلا فرق بين عربي وأعجمي ولا بين أبيض وأسود وأحمر وأصفر إلا بالتقوى التي هي الهدف الرئيس من الحج[٢] كما في الآية السابقة التي تتكلم عن الحج والتي ختمت بقوله تعالى: (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى).

والحج إعلان للتوحيد الخالص لله تعالى، هذا التوحيد الذي

---

[١] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: ٨، ص: ٦٧.

[٢] المصدر السابق، ج: ٢، ص: ٢٧٣.

جاء به الأنبياء عليهم السلام جميعا ومنهم أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام ثم ختم بمحمد صلى اللّه عليه وسلم الذي جعل شعار الحاج: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ...). والحج تجرد من الحياة الدنيا وزينتها فيلبس الحاج أنقى الثياب البيضاء وأنظفها تعبيرا عن السلام والاستسلام للّه رب العالمين، فتزول الفوارق الدنيوية هناك ويتفاضل الناس بالتقوى لا بالجاه والسلطان والثروة.

والحج إقامة لنوع من الوحدة الروحية والثقافية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية بين المسلمين من شتى أنحاء العالم. والحج كذلك "احتفال بذكريات عزيزة في الأرض المباركة منذ أن أقام سيدنا إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل عليه السلام القواعد من البيت ليكون للناس مثابة وأمنا وقضاء مصالح"،[1] فهو موئل الناس وملاذهم يأمنون في جواره من كل شر ويظفرون فيه بكل خير. وقد جمع اللّه تعالى لهذ المكان حرمتين زمانية ومكانية، أما الحرمة الزمانية فقد كانت منذ خلق اللّه تعالى السموات والأرض، قال تعالى: (إن عدة الشهور عند اللّه اثنا عشر شهرا في كتاب اللّه يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) التوبة: ٣٦. وهذه الأشهر الحرم كما حددها النبي صلى اللّه عليه وسلم هي : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الفرد.[2]

---

[1] عبد الغني عبد الرحمن محمد، مكة أم القرى.. لماذا؟، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١١/١٩٩٠)، ط١، ص: ٨٨.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه ج٢/ص٩٨٨/ح١٣٥٤، ج٣/ص١٣٠٦/ح١٦٧٩، ج٣/ص١٣٠٧/ح١٦٧٩، و البخاري في صحيحه ج١/ص٣٧/ح٦٧، ج١/ص٥٢/ح١٠٤، و النسائي في سننه ج٥/ص٢٠٦/ح٢٨٧٦، و ابن حبان في صحيحه ج٩/ص١٦٠/ح٣٨٤٨، و الترمذي في سننه ج٣/ص١٧٥/ح٨٠٩، و أبي داود =

فالأشهر الحرم التي منها أشهر الحج[١] هي أشهر أمان ورحمة للخلق (ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) التوبة: ٣٦، وذلك بإحلال حرمتها التي أراد الله أن تكون فترة أمان وواحة أمن وسلام، وأراد الله تعالى أن يكون للناس فيها مجال للسياحة والضرب في الأرض وابتغاء الرزق، حتى كان العربي في الجاهلية يترك الثأر فيها، فمخالفة أمر الله تعالى ظلم للنفس بتعريضها لعذاب الله تعالى أو تعريضها للخوف والقلق في الأرض حين تستحيل جحيما عدوانية لا هدنة فيها ولا سلام.

أما حرمة المكان فهو للكعبة المشرفة والحرم كله فقد حرمها الله تعالى منذ خلق السموات والأرض، وقال الله تعالى: (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام..) المائدة ٩٧، فالكعبة والحرم منطقة الأمان التي يقيمها الحق سبحانه للبشر في زحمة الصراع بين الناس المتخاصمين، وفي زحمة الصراع بين الرغائب والشهوات والمطامع، وذلك لتحل الطمأنينة مكان الخوف، ويحل السلام محل الخصام بشكل فعلي،[٢] ويكون البيت بذلك مثابة للناس وأمنا. وقد شملت هذه الحرمات الإنسان والحيوان والطير والنبات والشجر الموجود في الحرم، فهذه كلها آمنة، فكما جعل الله تعالى الكعبة منطقة أمن في المكان جعل الأشهر الحرم منطقة أمن في الزمان.

=

في سننه ج٢/ص١٩٦/ح١٩٤٧، و ابن حنبل في مسنده ج٥/ص٣٧/ح٢٠٤٠٢، ج٥/ص٣٧/ح٢٠٤٠٣ و الطبراني في معجمه الكبير ج٢٢/ص١٨٥/ح٤٨٤، و النسائي في سننه الكبرى ج٢/ص٤٤٢/ح٤٠٩٢.

[١] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: ٢، ص: ٢٦٩.

[٢] سعد المرصفي، الكعبة مركز العالم، ص:٢٤٧- ٢٤٨.

ومن الأحكام المتعلقة بالحرم ولها دور في تحقيق الأمن في الحرم المحافظة على البيئة من خلال حرمة صيد البر، ومن خلال تحريم قطع شجرها ونباتاتها:

أ- حرمة صيد البر:

قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم..) المائدة: ٩٥.

حرم الله تعالى على المحرم صيد البر، وحرم عليه الدلالة عليه، وكذلك حرم على المقيم الصيد من أجل المحرم، وأوجب على من اصطاد فيه كفارة، وحرم كذلك تنفير صيد الحرم، وتجاوزت حرمة الاعتداء على الحيوان الحرم لتشمل الهدي الذي يهدف به ذبحه من أجل الحج وهو ما زال خارج الحرم، وكذلك حرمة التعرض لمن تقلد بشجر الحرم، قال الله تعالى: (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد..) المائدة: ٩٧، فالله تعالى قد جعل الكعبة صلاحا للناس كما قال سعيد بن جبير، وقياما في مناسكهم ومتعبداتهم.[1] وقد أمنت الطيور في مكة حتى صار يضرب بأمنها المثل فقالوا: (آمن من حمام مكة)، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم أجاز قتل بعض الحيوانات والطيور والحشرات المضرة في الحرم وهي: الحدأة، والغراب، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور.[2]

---

[1] علي بن محمد الماوردي، تفسير النكت والعيون، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، لا تاريخ)، ج:٢، ص: ١٠٠- ١٠٢.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه ج٢/ص٨٥٨/ح١٢٠٠، و البخاري في صحيحه ج٣/ص١٢٠٥/ح٣١٣٦، و النسائي في سننه ج٥/ص٢٠٨/ح٢٨٨١، و ابن حبان في صحيحه ج١٢/ص٤٥١/ح٥٦٣٣، و ابن خزيمة =

ب- تحريم قطع شجرها ونباتاتها:

من المظاهر الرائعة في الحرم تحريم قطع شجره ونباتاته إلا لضرورة، وقد حرم ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث عديدة منها قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطتها إلا من عرّفها، ولا يختلى خلاها، فقال العباس رضي الله عنه: إلا الإذخر، فإنه لقينهم وبيوتهم، فقال صلى الله عليه وسلم: (إلا الإذخر).[1]

ج- تحريم أخذ اللقطة:

حرم الإسلام على المسلم في الحرم أخذ اللقطة فيها واستثني من ذلك صاحبها الذي يعرفها، وفي ذلك حفاظ على المال الذي يكون في الحرم فلا تمتد إليه يد إلا بالحق. ومن المظاهر الرائعة التي رأيتها في مكة أن أصحاب المحلات التجارية والصيارفة يضعون حبلا أو أي شيء آخر أمام المحل للدلالة على أنهم غير موجودين فيه من غير أن يغلقوا باب المحل، وهذا يدل على الأمن العظيم الذي بلغته هذه البلدة المباركة، ولا يمكن أن نجد لهذا الأمن مثيلا في أهم دول العالم سواء في أوروبا أو أمريكا، ولكن هذا لا يعني أبدا أن حالات السرقة غير موجودة أو أنه لا يوجد سرقة أثناء أيام الحج المكتظة بالناس، ولكن

=

في صحيحه ج٤/ص١٩١/ح٢٦٦٧، ج٤/ص١٩١/ح٢٦٦٩، و الترمذي في سننه ج٣/ص١٩٨/ح٨٣٧، و ابن ماجه في سننه ج٢/ص١٠٣١/ح٣٠٨٧، و ابن حنبل في مسنده ج٢/ص٥٠/ح٥١٠٧، وقارن بالواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: ٢، ص:٢٣٠.

[1] مر تخريج الحديث سابقا، وقارن بالغبان، فضائل مكة، ج:١، ص:٢٢٤.

الحكم هو للأعم الأغلب من أيام السنة، وهو الأمن والطمأنينة.

د- حفظها من الطاعون ومن الدجال ومن تسلط الجبابرة:

ومما يدل على استتباب الأمن الحسي والمعنوي في هذه البلدة المباركة ما ورد من أحاديث كثيرة تنص على حفظ هذه المدينة التي يؤمها ملايين من الناس من الطاعون الذي هو من الأمراض السارية والمعدية، وكما حفظها الله تعالى من الأمراض الحسية فقد حفظها من الطاعون المعنوي الكفري الذي يأتي به الدجال، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة..)، وقال أيضا: (المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة، على كل نقب منها ملك لا يدخلها الدجال ولا الطاعون).[1]

وكذلك حفظ الله تعالى مكة من تسلط الجبابرة، فقد حفظها من جيش أبرهة، ولهذا سميت بكة لأنها تبك رقاب الجبابرة، أما سبب تسمية الكعبة بالبيت العتيق فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما سمي بالبيت العتيق لأنه أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه جبار قط)،[2] وقد أصبح قوله صلى الله عليه وسلم عن مكة بأنها لا تغزى بعد الفتح على الكفر أبدا[3] معجزة نبوية ظاهرة، فبالرغم من

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه ج٤/ص٢٢٦٦/ح٢٩٤٣، و البخاري في صحيحه ج٢/ص٦٦٥/ح١٧٨٢، ج٦/ص٢٦٠٧/ح٦٧٠٦، و ابن حبان في صحيحه ج١٥/ص٢١٥/ح٦٨٠٣، و ابن حنبل في مسنده ج٣/ص١٩١/ح١٣٠٠٩، ج٣/ص٢٩٢/ح١٤١٤٤، و النسائي في سننه الكبرى ج٢/ص٤٨٥/ح٤٢٧٤.وقارن بالغبان، فضائل مكة، ج:١، ص:٣٠٤، وج:١، ص:٣٢٨.

[2] الغبان، فضائل مكة، ج:١، ص:٥١٤.

[3] الفاكهي، أخبار مكة، ج: ١، ص: ٣٦٧.

تعرض معظم العالم الإسلامي للاستعمار الأجنبي خلال القرنين الماضيين إلا أن الله تعالى حفظ مكة والمدينة من هذا الاستعمار، وستبقى محفوظتين إلى وقت قيام الساعة بإذن الله تعالى.

ثانيا: تحقيق الأمن الفردي على الصعيد النفسي والروحي:

إن الله تعالى جعل البيت الحرام سببا مهما للطهارة الروحية والحسية والطمأنينة القلبية، فقد أمر الله تعالى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أن يطهرا بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود، وفي ذلك تحقيق للطمأنينة القلبية والأمن النفسي والروحي الذي يسببه ذكر الله تعالى (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) الرعد: ٢٨، فحياة المؤمن وسعادته هي بمعرفة الله تعالى ومحبته وذكره سبحانه، وإن ذلك يتحقق فعلا في بيت الله الحرام الذي جعله الله تعالى سببا مهما لصلاح الناس وقياما لهم بالطاعة والحج، ويكفي المؤمن أنه إذا توجه إلى البيت قاصدا الحج فلم يرفث ولم يفسق ولم يجهل رجع كيوم ولدته أمه، وكان حجه مبرورا، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة. فهناك إذن يشعر المؤمن بالقرب الحقيقي من الله تعالى ويشعر بالطمأنينة القلبية التي هي السعادة بعينها. وكذلك يشعر المؤمن بالطمأنينة عندما يعلم أن كل حسنة تضاعف إلى آلاف الحسنات في ذلك المكان فيزداد عملا وتقوى.

وإن المؤمن كلما نظر إلى الكعبة فإنها تبعث في نفسه وروحه الطمأنينة والهيبة، مع الأنس والرحمة. وإن هذا الشعور لدى كل مؤمن عندما يدخل مكة يفسر لنا السبب في قلة الحوادث والمشاكل بل

وانعدامها أحيانا في ذلك المكان الطاهر بالرغم من الأعداد الهائلة التي تدخله كل عام.

إن كل ما سبق يحقق للمؤمن الأمن والطمأنينة القلبية والروحية والنفسية، فالحمد لله على الإيمان والإسلام، والحمد لله أنه جعل لنا هذا المكان الطاهر الآمن في هذه الكرة الأرضية التي تسفك فيها الدماء وتستحل فيها المحرمات كل يوم وفي أماكن كثيرة منها، فزاد الله تعالى هذا البلد أمنا وطمأنينة وجزى الله خيرا القائمين والساهرين في المملكة العربية السعودية على أمنها ورعايتها وخدمتها والحمد لله رب العالمين.

***

الخاتمة والتوصيات

تبين لنا مما سبق أن الإسلام بحق هو دين الأمن والسلام والطمأنينة، وأن تعاليمه السامية تدعو لذلك، وأن أتباعه هم أهل السلام والطمأنينة فكل من يقوم بإيذاء الآخرين والإفساد في الأرض فليس بمسلم حقيقي والإسلام بريء منه ومن أعماله، ومن هنا فلا يجوز وصف الإسلام بأنه يشجع على الإرهاب، أو وصفه بأنه يشجع التطرف، لأن هذا الدين هو دين سلام يبيح للمسلم أن يدافع عن نفسه وعن دينه وعن عرضه بالوسائل المشروعة ،ولابد أن لا يحدث خلط بين مفهوم الإرهاب الذي فيه اعتداء على الأبرياء والذي يرفضه الإسلام جملة وتفصيلا، وبين حق أي شعب من الشعوب في الدفاع عن نفسه بالطرق المشروعة. ولابد كذلك ألا تستغل أجهزة الإعلام الغربية أعمال الإرهابيين المنتمين للإسلام لتجعل من ذلك طابعا عاما ينطبق على كل المسلمين الذين يشكلون اليوم خمس البشر على وجه الأرض.

وتبين لنا من خلال هذا البحث أن الإسلام قد أقام للناس مكانا آمنا في الأرض يطبق فيه الأمن عمليا كي يكون لهم موئلا وملاذا يعبدون فيه الله تعالى وحده، ويحجون إليه ويطوفون بالبيت الحرام، فهو واحة أمن وطمأنينة للمؤمنين في الأرض في خضم الصراعات الإنسانية عليها. وفي ذلك المكان المبارك لا يأمن الإنسان وحده بل الأمن يشمل البيئة كلها من حيوانات ونباتات وشجر، **فمكة المكرمة ليست فقط عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ فقط بل**

للأعوام كلها .

وقد أوضح هذا البحث السبل الناجعة التي وضعها التشريع الإسلامي لتحقيق الأمن والسلام والطمأنينة في مكة المكرمة وذلك عبر التأكيد القرآني والنبوي على قدسية هذا المكان وحرمته، واقتران كلمة الأمن بمكة في القرآن الكريم في ستة مواضع، ووصف البيت بأنه أول بيت وضع للناس في الأرض هدى وبركة للعالمين.

وكذلك أكد البحث أن الإسلام قد حقق الأمن الاجتماعي والفردي في مكة المكرمة من خلال تحريم كل أنواع القتل بغير حق، وحرم الأذى والإفساد فيه، وحث بالمقابل على عمل الخيرات فيه على وجه الخصوص، ولم يقتصر الحفظ الرباني لأمن هذا البلد على التشريعات السابقة، بل وتجاوزها إلى حفظ مكة من الشرور الحسية والمعنوية فحفظها الله تعالى من الطاعون والدجال ومن تسلط كل جبار عنيد.

وقد ضمن الإسلام تحقيق الأمن في مكة على المستوى الفردي والروحي والنفسي من خلال ما يجده المرء من راحة وطمأنينة قلبية ونفسية في ذكر الله تعالى والشعور بالقرب منه سبحانه في ذلك المكان خصوصا، ومن خلال ما يؤديه الحاج من شعائر إسلامية هدفها الأساسي تحيق التقوى مما يعكس كله على أمن الفرد ومجتمعه.

ويوصي الباحث في ختام هذا البحث بما يلي :

١- ضرورة نشر الوعي الديني بين المسلمين لإيضاح أهمية هذه المدينة وقدسيتها ، وتوعيتهم بمضاعفة الحسنات فيها ، وأن السيئات تتضاعف كذلك، وهذا الأمر سيزيد من حذر المسلمين في ارتكاب الذنوب، وهذا يؤدي حتما إلى زيادة الأمن والطمانينة بين المسلمين فيها.

٢- ضرورة نشر الوعي الأمني لكل من يقصد مكة المكرمة ، ويشمل هذا : تعريفهم بالأمن البيئي والمحافظة على النفس والمال والطيور والحيوانات والشجر والنبات الموجود في الحرم، وغيرها من أمور يجب الالتزام بها أو تجنبها.

٣- بما أن مكة المكرمة هي مركز العالم، فلماذا لا يدعو المسلمون إلى جعل توقيت مكة توقيتا عالميا يعمل به المسلمون في كل مكان.

٤- أن تعقد لقاءات ومؤتمرات دورية بين المسلمين وبين أصحاب القرار في الغرب للتعرف على حقيقة الإسلام ورسالته التي هي رحمة للعالمين.

٥- أن تنشر الكتب المناسبة عن الإسلام في الغرب وأن تمنع الكتب والمسلسلات المشوهة لصورة الإسلام السمحة.

وفي الختام يشكر الباحث جامعة أم القرى والقائمين على تنظيم هذه الندوة الكبرى، وذلك على جهودهم الكريمة التي بذلوها

لعقد هذه الندوة الكبرى، سائلين الله تعالى أن تؤتي هذه الندوة الكبرى ثمارها الطيبة والنافعة للأمة الإسلامية وللشعوب الأخرى، وأن يتحقق الأمن والسلام العالمي بإذن الله تعالى على وجه هذه البسيطة، وأسأل الله تعالى أن يتقبل منا هذا العمل ويجعله خالصا لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .